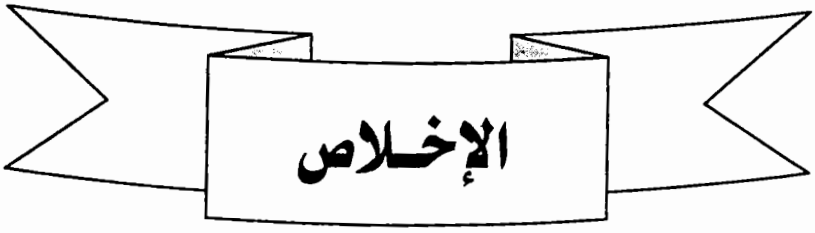


﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

[البينة:٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

## الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

**وبـعـد..**

إن من أهم الأمور التي يقوم عليها إيمان المؤمن وتوحيده لله تعالى هو أمر تحقيق الإخلاص.

وذلك أن العلماء متفقون على أن العمل لا يقبل من العبد إلا بشرطين مهمين:

**الأول: الإخلاص في العمل لله رب العالمين** [١].

**الثاني: اتباع النبي ﷺ والتزام سنته في هذا العمل** [٢].

وسوف نتحدث في هذه الرسالة الصغيرة عن هذا الشرط الأول، وهو تحقيق

---

(١) لقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حفناء﴾ البينة: ٥، وقوله تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصًا له الدين ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر:٣, ٢] ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» أخرجه البخاري في «بدء الوحي» (١)، ومسلم في «الإمارة»، (١٩٠٧).

(٢) لقوله تعالى: ﴿قل إن تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ آل عمران:٣١ وقوله تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ الحشر:٧.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

الإخلاص لله رب العالمين.

وهذا الأمر عسير ليس باليسير، ويحتاج إلى مجاهدة للنفس، وتدريب لها على تحقيقه حتى تعتاده وتلتزم به.

وقد كان هذا الأمر هو الشغل الشاغل لسلفنا الصالح ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ، ولذلك فقد فازوا برضوان الله تعالى؛ حيث كافأهم على ذلك بخير جزاء؛ وذلك بالذكر الحسن والثناء الجميل الباقي لهم إلى يوم القيامة؛ وذلك أن الجزاء من جنس العمل؛ فإنهم لما أخلصوا قصدهم في أعمالهم، وجعلوها خالصة لله تعالى لا يرجون بها ذكرًا ولا ثناء. كافأهم الله تعالى بأن أحبهم ووضع لهم القبول في قلوب عباده فأحبوهم وأثنوا عليهم جميلهم وحسن صنيعهم إلى يوم الدين.

**وهذه صفحات قليلة نحاول أن نحقق فيها هذا الخلق العظيم لعل الله تعالى أن يجعلنا من المخلصين.**

### *كيف نحقق الإخلاص؟

بيّنا أن الإخلاص أمر عسير ليس من السهل القيام به وتحقيقه، فقد كان السلف يقولون: ما عالجنا شيئًا أشدَّ علينا من الإخلاص وإصلاح النية.

وقد تفكرت مليًّا في كيفية تحصيله والتخلص من ضده وهو الرياء؛ فتبين لي أن مما يحقق للمرء إخلاص النية أن ينظر أولاً إلى ما افترضه الله تعالى عليه وما استحب له فعله، وما أعد له على هذا العمل من الأجر والكرامة في الدنيا والآخرة، فتَرقى نفسه لطلب ذلك، فإذا توجه لفعله لمجرد ذلك دونما نظر إلى غيره من المصالح والمنافع العاجلة فقد بلغ حقيقة الإخلاص، ووقف على بابها.

لأنه إذا تفكر في ثواب العمل، فتطلعت نفسه إليه ورغبت فيه؛ فإنه يُقدِم على هذا العمل رغبة في ثواب الله تعالى، فيكون له بذلك نية صالحة يثيبه الله عليها،

ويتقبل عمله بها؛ لأن النبي ﷺ قال: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[١].

ومما يتم به إخلاص المرء، أن ينظر العبد إلى ما قدمه الله تعالى فيقدمه وإن كان هواه في غيره، وإلى ما أخره الله تعالى فيؤخره وإن كان هواه في تقديمه.

ولذا فقد وجب على العبد أن يعرف ما أوجبه الله عليه وما استحبه له، ثم يعرف كذلك ترتيب هذه التكاليف عند الله تعالى، أيها أحبّ إليه سبحانه، وأوجب لديه، وأعظم في الأجر والفضل، فيعمد إلى ترتيب ما أوجبه الله عليه من الحقوق والواجبات حسب الأوجب فالأوجب، ثم يرتب سائر المستحبات التي تستحب له كذلك حسب الأحب فالأحب لله تعالى.

فإذا فعل ذلك واتجه إليه بعزم صادق فثمة حقيقة الإخلاص.

وإذا تفكر العبد فيما أوجبه الله عليه من الحقوق والواجبات حسب الأوجب فالأوجب لعلم أن **أول واجب عليه هو**: تحقيق إخلاص القلب لله في التوجه إليه بسائر الأعمال؛ إذ ليس على العبد تكليف يجب عليه لله تعالى قبل ذلك، فكان حَريًّا أن ننشغل أولاً بتحقيقه، والاجتهاد في تمحيص القلب له، فإن وفقنا الله لذلك، فيكفي بعد ذلك أقل القليل من العمل؛ لأنه يقع حينئذ موافقا لطلبه سبحانه، حائزًا بالقبول، مباركًا برضوان من الله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[٢].

فضرب الله تعالى مثلاً لمن ينفق ماله ابتغاء مرضات الله تعالى، كيف يضاعف الله تعالى له الأجر أضعافًا كثيرة، فمثله كمثل جنة بربوة أي: بمكان عالٍ من

---

(١) متفق عليه.

(٢) البقرة:٢٦٥.

الأرض يصيبها مطر غزير فتأتي بثمار مضاعفة، وإن أصابها اليسير من المطر فإنه يكفيها لإخراج خيرها وكنوزها، وكذلك المخلص يكفيه القليل من العمل فالله ﷻ إذا قبل من العبد شيئًا، ادخره له إلى يوم الحساب وثمّره له وبارك له فيه، فإن تصدق بصدقة يسيرة قد أخلص فيها له سبحانه، وابتغى بها وجهه، فلا يزال ينميها له سبحانه كما يربي أحدكم فلوه أي: مُهره الصغير وهو ولد الفرس، حتى تصير أعظم من الجبل، فيضعها سبحانه في ميزان حسناته فيثقل بها عمله، فيدخله بها الجنة، كما صح الحديث بذلك عن النبي ﷺ.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم**»[١]

وكذا إذا تكلم بكلمة صغيرة لا يلقي لها بالاً لكنه يبتغي بها وجه الله تعالى، فإنها تقع من رضوان الله تعالى، فيدخل بها الجنة، كما صح الحديث بذلك عنه ﷺ.

فإذا أخلص العبد لله تعالى أجره الله تعالى في كل شيء حتى اللقمة يضعها في فيّ امرأته يبتغي بذلك وجه الله[٢]، وحتى إتيانه لأهله[٣]، وغشيانه لهم يبتغي بذلك ما أمره الله به من تحصين نفسه وإعفافها، وكذلك عمله وسعيه على معاشه ابتغاء القوت والكفاف لنفسه وأهله محتسبًا في ذلك، ممتثلاً تكليف الله تعالى إياه بذلك، فإنه يؤجر على ذلك كله ويبارك الله تعالى له في قليله في الدنيا والآخرة، فيجعل له بذلك كرامة الدارين، والرفعة والمنزلة في الأولى والآخرة.

فالعبد إذا ما أخلص لله تعالى، ولم يعمل لطلب الجاه والرفعة في الدنيا كافأه

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب: حفظ اللسان (٦٤٧٨).

(٢) ثبت ذلك في حديث سعد بن أبي وقاص ، أخرجه البخاري في الوصايا، باب: أن يترك ورثته أغنياء خير (٢٧٤٢) وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في الوصية، باب: الوصية بالثلث (١٦٢٨).

(٣) ثبت ذلك في حديث أخرجه مسلم في "الزكاة" (١٠٠٦).

الله على إخلاصه له فجمع له خير الدارين وكرامتيهما.

**ثانيًا:** تخليص القلب من سائر الآفات التي تحول بينه وبين العمل لله تعالى، وكذلك تزكية النفس وتطهيرها وتخليتها وتحليتها وإصلاح خللها، ومدار ذلك كله على إصلاح القلب أولاً، وتخليصه من أمراضه وآفاته، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، كما صح الحديث بذلك عنه ﷺ.

والحق أن القلب إذا ما حقق منزلة الإخلاص السابق ذكرها فإنها تخلص القلب لا محالة من كثير من آفاته وأمراضه.

فالإخلاص لا يبلغ تمامه إذا كان بالقلب آفة من الآفات، أو مرض من الأمراض صغر أو كبر.

فلا يتم إخلاص العبد مع شيء من الشح، أو الحسد، أو الحقد والغل، أو التعلق بالمعصية وعدم التوبة والإنابة إلى الله، أو اليأس من رحمته، أو عدم رجائه أو نقصان الرجاء فيه، أو ابتغاء العزة ممن سواه، أو عدم خوفه، أو الاستغناء عن فضله، أو غير ذلك من الآفات؛ كالكبر والعجب والمن والفخر وغير ذلك، فمن تأمل ذلك كله وأمعن النظر فيه، وقاسه بحقيقة الإخلاص علم أنه مما ينافي تمام الإخلاص، ويحول دون كماله.

هذا واعلم أن انشغال العبد بتزكية نفسه وإصلاحها أولاً، لا يعني ترك ما علم أن الله تعالى قد افترضه عليه بحجة انشغاله بإصلاح نفسه، فإن هذا أمر لا تدرك نهايته، وليس لإصلاح النفس حد يصلح الوقوف عنده ظنًّا أنها قد زكت وصلحت، بل لا يجوز ذلك أبدًا للعبد؛ لأنه منهي عن تزكية نفسه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[1] بل عليه دائمًا أن يتهمها ويعتقد نقصانها وتقصيرها عما كلفت به.

وهذا الأمر ليس له غاية أو حد يحسن أو يجوز الوقوف عنده؛ لذا لم يجز أن

---

(١) النجم:٣٢.

يترك المرء العمل بحجة انشغاله بإصلاح نفسه، بل يعمل ما كلف به على أحسن حال ينتهي إليه من إصلاح نفسه.

### *صلاح الباطن ملازم لصلاح الظاهر:

ومما يغفل عنه كثير من الناس، ويخطئون في تصوره أن يعتقدوا أن إصلاح النفس وتزكيتها إنما يكون بعيدًا عن العمل والواقع وميدان المنازلة، فهيهات هيهات أن تَزْكو نفوس هؤلاء، أو تصلح بغير ممارسة حقة.

### *قد يحتاج الإنسان إلى وقفة يحاسب فيها نفسه:

نعم، قد تكون النفس بحاجة إلى خلوة تلم فيه شعثها، ويحاسب فيها المرء نفسه على تقصيرها، ويحصي ما سقط منه في زحام الأحداث، ويؤدب نفسه على تقصيرها وجنوحها وتمردها على الطاعة والإخلاص؛ فإن مثل هذا التأديب والتهذيب لا يصلح في غمرة الأحداث ولا أمام الناس، بل لابد أن يخلو بها محاسبًا ومؤدبًا، كالمؤدب الناصح يخلو بمن يؤدبه وينصحه سرًّا، أو يزجره فيما بينه وبينه، ويشتد عليه إن علم أن ذلك أنفع له.

ولكن هذه الخلوة لا تأتي في الحقيقة بثمرتها ما لم تتمرن النفس بعد ذلك بالنزول إلى ميدان الواقع شيئًا فشيئًا، تكرّ ثم ترجع، تنظر في عملك وتحاسب نفسك على تقصيرها وتتابعها في تمرنها وتدربها على مزاولة الأعمال وفق قواعد الإخلاص والإحسان.

ولذا فلا ينبغي أن تطول خلوة النفس وعزلتها، بل الأنفع لتلك النفس ألا تكون لها خلوة واحدة، بل تكون لها خلوات كثيرة بين الحين والحين يحاسب نفسه على تقصيرها، يعمل ثم يخلو، ثم يعمل ثم يخلو، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "خذوا بحظكم من العزلة"[1].

---

(١) رواه وكيع في كتاب "الزهد"(٣٦)، باب: من كان يحب الخلوة، برقم(٢٥٣)، (٢/ ٥١٧) وابن =

وقال مسروق -رحمه الله-: "إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، فيذكر ذنوبه، فيستغفر منها"[1].

نعم، فهي ليست خلوة واحدة، ولا مجلسًا واحدًا، بل هي خلوات ومجالس، فلابد من خلوة المحاسبة بعد كل أمر.

ولابد من خلوة قبل العمل للتدبر وإصلاح النية في الأمر المقدم عليه، وذلك كمثل التاجر تمامًا يخلو بنفسه قبل شرائه السلعة، لينظر ويتأمل مدى رواجها في سوق التجارة وجلبها للربح، ثم يتأمل بعد بيعه إياها، كم ربح فيها؟ وكم خسر؟ وكم باع منها؟ وكم بقي؟ وهكذا.

وقد ذكر الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وكذا ابن قدامة في "مختصر منهاج القاصدين" بابًا نافعًا في:(دواء الرياء وطريقة معالجة القلب فيه)، فذكر في طريقة معالجته مقامين، فقال: وفي معالجته مقامان:

**أحدهما: في قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه.**

**والثاني: في دفع ما يخطر منه في الحال.**

**المقام الأول**: اعلم أن أصل الرياء حب الجاه والمنزلة، وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهي: حب لذة الحمد، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس.

ويشهد لذلك ما في "الصحيحين" من حديث أبي موسى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية،

---

سعد في الطبقات(٤/ ١٦١) من حديث ابن عبدالله، وابن المبارك في "الزهد"(٣)، وابن أبي عاصم في "الزهد"(٣٧) وغيرهم وفي إسناده انقطاع، وقال الشيخ سلمان العودة في كتاب "العزلة": وله شواهد من قول عمر وأبي الدرداء وغيرهما.

(١) رواه الإمام أحمد في "الزهد" (٣٤٩-٣٥٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٤٠٣)، والدارمي (١/ ٧٩)، وأبو نعيم في "الحلية"(٢/ ٩٧).

ويقاتل رياء، فأيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله"[١].

فمعنى قوله: يقاتل شجاعة، أي: ليذكر ويحمد، ومعنى قوله: يقاتل حمية أي: يأنف أن يقهر أو يذم، ومعنى: يقاتل رياء، أي: ليرى مكانه، وهذا هو لذة الجاه والمنزلة في القلوب.

وقد لا يشتهي الإنسان الحمد، ولكنه يحذر من الذم، كالجبان بين الشجعان، فإنه يثبت ولا يفر لئلا يذم. وقد يفتي الإنسان بغير علم حذرًا من الذم بالجهل، فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك إلى الرياء.

وعلاجه أن الإنسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه إذا ظن أنه خير له ونافع، إما في الحال أو المآل، فإن علم أنه لذيذ في الحال ضارٌّ في المآل، سهل عليه اجتنابه وقطع عنه الرغبة، كمن يعلم أن العسل لذيذ، ولكن إذا بان له أن فيه سمًّا، أعرض عنه، فكذلك طريق هذه الرغبة أن تعلم ما فيها من المضرة، فإن الإنسان متى عرف مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه، ومن المنزلة في الآخرة، وما يتعرض له من العذاب والمقت والخزي، هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإنَّ رضي الناس غاية لا تدرك، فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق، ومن طلب رضاهم في سخط الله، سخط الله عليه وأسخطهم عليه. ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله له لأجل مدحهم؟ ولا يزيد مدحهم رزقًا ولا أجلاً، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته.

وكذلك ذمهم، لم يَحذر منه؟! ولا يضره ذمهم شيئًا، ولا يعجل أجله، ولا يؤخر رزقه، فإن العباد كلهم عجزة، لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فإذا قرر هذا في نفسه فترت رغبته في الرياء، وأقبل على الله تعالى بقلبه، فإن العاقل لا يرغب فيما يضره ويقل نفعه.

---

(١) البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤).

وأما الطمع فيما في أيدي الناس، فيزيله بأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأنه لا رازق سواه، ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة، وإن وصل إلى المراد، لم يخل من المنة والمهانة، فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد؟!

ومن الدواء النافع أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها، كما تغلق الأبواب دون الفواحش، فإنه لا دواء في الرياء مثل إخفاء الأعمال، وذلك يشق في بداية المجاهدة، فإذا صبر عليه مدة بالتكلف، سقط عنه ثقله وأمده الله بالعون، فعلى العبد المجاهدة، ومن الله التوفيق.

**المقام الثاني**: في دفع العارض من الرياء أثناء العبادة، وذلك لابد من تعلمه أيضًا، فإن من جاهد نفسه، وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة، وإسقاط نفسه من أعين الناس، واحتقار مدحهم وذمهم، فإن الشيطان لا يتركه في أثناء العبادة، بل يعارضه بخطرات الرياء، فإذا خطر له معرفة الخلق بعبادته واطلاعهم عليها، دفع ذلك بأن يقول: ما لك وللخلق علموا أو لم يعلموا، والله عالم بحالك؟ فأي فائدة في علم غيره؟

فإن هاجت الرغبة إلى آفة الحمد، ذكرها آفات الرياء والتعرض للمقت، فيقابل تلك الرغبة بكراهة المقت، فإن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة، ومعرفة آفة الرياء تثير كراهة"[1].

**نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في جميع أقوالنا وأفعالنا، وأن يجعلها ابتغاء وجهه الكريم.. آمين.**

❁❁❁

(١) ابن قدامة. مختصر منهاج القاصدين ص (٢٢١).